المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

آرثر لي حياته وأثره الدبلوماسي 1740-1792

م. د محمد ناصر فيصل
جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ
الايميل الجامعي:mohammednaser@mu.edu.iq

ملخص
إن أثمن ثروات الأمم تكمن في شخصيات وأفعال عظمائها، فهي التي تُضفي على تاريخها أهميةً أكبر من أي موضوع آخر تُقدمه لنا للتأمل، لذا فإن دراسة الشخصيات التاريخية التي كان لها أثرٌ بالغ في تشكيل مسار الأحداث تُعد من الركائز الأساسية لفهم التاريخ وتحليله. ومن بين هذه الشخصيات البارزة يأتي آرثر لي، ذلك الدبلوماسي والسياسي الأمريكي الذي لعب دوراً محورياً في مرحلة حاسمة من تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، وهي مرحلة النضال من أجل الاستقلال عن بريطانيا العظمى. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على حياة آرثر لي ونشأته، ورحلته التعليمية والمهنية، ودوره الدبلوماسي البارز في أوروبا، ولا سيما في فرنسا وإسبانيا وبروسيا، كما يتناول جهوده في تأمين الدعم العسكري والمالي للولايات المتحدة خلال حرب الاستقلال، ومشاركته في المفاوضات التي أدت إلى توقيع معاهدات التحالف والتجارة مع فرنسا. اعتمد البحث على تحليل الوثائق التاريخية والسير الذاتية، بهدف تقديم صورة شاملة عن إسهامات آرثر لي، التي كانت بمثابة لبنة أساسية في بناء استقلال الولايات المتحدة وتأسيس سياستها الخارجية، ولا شك أن دراسة مثل هذه الشخصيات تتيح لنا فرصةً لفهم أعمق للتفاعلات الدبلوماسية والاستراتيجيات السياسية التي شكلت عالم ذلك العصر.
الكلمات المفتاحية: آرثر لي، الدبلوماسية الامريكية، حرب الاستقلال، المعاهدة الفرنسية الامريكية.

Arthur Lee: His Life and Diplomatic Influence 1740-1792

L. Dr. Mohammed Nasser Faisal
Al-Muthanna University, College of Education for Humanities, Department of History
University Email: mohammednaser@mu.edu.iq

Abstract
The most valuable wealth of nations lies in the personalities and actions of their great leaders. These individuals add greater significance to their history than any other subject they present for us to contemplate. Therefore, studying historical figures who had a profound impact on shaping the course of events is a fundamental pillar of understanding and analyzing history. Among these prominent figures is Arthur Lee, the American diplomat and politician who played a pivotal role in a crucial phase of American history: the struggle for independence from Great Britain. This research aims to shed light on Arthur Lee's life and upbringing, his educational and professional journey, and his prominent diplomatic role in Europe, particularly in France, Spain, and Prussia. It also addresses his efforts to secure military and financial support for the United States during the Revolutionary War and his participation in the negotiations that led to the signing of treaties of alliance and trade with France. The research relied on an analysis of historical documents and biographies, aiming to provide a comprehensive picture of Arthur Lee's contributions, which were a fundamental building block in building American independence and establishing its foreign policy. Studying such figures undoubtedly provides us

with an opportunity to gain a deeper understanding of the diplomatic interactions and political strategies that shaped the world of that era.

Keywords: Arthur Lee, American diplomacy, War of Independence, Franco-American Treaty.

حياة آرثر لي ونشأته.

وُلد آرثر لي في العشرين من ايلول عام ١٧٤٠ وكان أصغر أبناء توماس لي وزوجته هانا، القاطنين في مقاطعة ويستمورلاند، فرجينيا، ويعد أسلافه الإنكليز من أوائل المهاجرين إلى تلك المستعمرة، توفي والده عندما كان عمره عشر سنوات، وتُرك آرثر لرعاية أخيه الأكبر تلقى تعليمه المبكر مع إخوته، ريتشارد وهنري وفرانسيس وويليام على يد مدرس خاص، أرسله شقيقه الأكبر، إلى كلية إيتون، والتي تعد آنذاك أفضل مدرسة نحوية في إنكلترا، وبعد أن أكمل دراسته في إيتون وامتثالا لرغبة والده المتوفي أن يصبح طبيبًا، لذا أُرسل إلى إدنبرة، وأصبح طالبًا في جامعة تلك المدينة. درس فيها العلوم العامة والأدب ثم كرس نفسه لاحقًا لدراسة القسم الطبي[1].

حصل على درجة دكتوراه في الطب. اذ كان موضوع أطروحته (الخصائص النباتية والاستخدامات الطبية للحاء نبات البيرو) وقد كُتبت باللغة اللاتينية، وابان اقامته في إدنبرة، تعرف على اللورد كاردروس، أقدم وأصدق وأوثق أصدقاء المستعمرات، في نزاعاتهم مع الوطن الأم، قبل عودة السيد لي إلى وطنه، سافر عبر هولندا وألمانيا، وبعد فترة وجيزة من عودة السيد لي إلى فرجينيا، بدأ ممارسة الطب في مدينة ويليامزبرغ، عاصمة المستعمرة آنذاك، وسرعان ما اكتسب شهرةً وممارسةً في هذه المهنة، ولكن ممارستها لم تُناسب ميله الخاص نحو الشؤون السياسية[2].

كان إخوة السيد لي، وخاصةً شقيقه ريتشارد وهنري، يشاركون في السياسة آنذاك، مما جعلهم محط أنظار الرأي العام، وأظهر عزمهم الراسخ على الدفاع عن حقوق بلادهم، مهما كانت المخاطر، وقد اقتدى عقله المتقد بحماسهم، فقرر العودة إلى إنكلترا؛ ليستقر في لندن، مركز الافكار السياسية، ليدعم بأقصى جهوده قضية الحرية الأمريكية، ولتحقيق هذه الغاية، عزم على دراسة القانون في تلك المدينة عام 1766، وهي مهنة تُمكّنه من إعالة نفسه، وتُمكّنه من الإلمام بالقانون الدولي، والبنية المميزة للدستور البريطاني، مما يؤهله للقيام بدور فعّال ونافع في القضايا السياسية الكبرى التي ستُناقش بحماس في ذلك البلد وفي المستعمرات، فاصبح مدافعًا قويًا عن حقوق وطنه، ومفاوضًا حكيمًا في إدارة شؤونه مع الدول الأجنبية في وقت محنته وحاجته، ورغم أنه كرّس نفسه لهذه الدراسة، لكنه لم يهمل مساعيه الأدبية والسياسية، أثناء دراسته أصبح صديقًا حميمًا للسيد ويليام جونز (الذي أصبح فيما بعد السير ويليام الشهير)، فكانا مولعين بالأدب، واصل السيد لي دراسة القانون من عام ١٧٦٦ إلى عام ١٧٧٠. وخلال هذه المدة، تعرّف على أبرز رجال القانون في لندن، ومن بينهم (دانينغ وغلين وألين)، وقد حظي برعاية دانينغ وغلين الحارة والمثمرة، وحصل على ممارسة قانونية مربحة، أصبح ابان تلك المدة كاتباً سياسياً بارزاً. انتشرت شهرته ككاتب في جميع أنحاء إنكلترا، من خلال سلسلة من الرسائل بتوقيع جونيوس أمريكانوس؛ كما جذبت إليه الشهرة والشعبية سلسلة موقعة باسم "رسائل مونيتور"[3].

الصراع بين بريطانيا ومستعمراتها.

ان مسائل الخلاف الدستوري التي نشبت بين المستعمرات والوطن الأم، ابان المدة من عام ١٧٦٤ إلى عام ١٧٦٩، حول قانون الضرائب والطوابع اللذين يؤكدان ويهدفان إلى إنفاذ، المبدأ التعسفي البغيض لسكان المستعمرات، ومفاده أن **"للهيئة التشريعية لبريطانيا العظمى الحق في فرض الضرائب على سكان المستعمرات، دون موافقتهم، من خلال ممثلين لم يختاروهم بأنفسهم".** أصبح السيد لي مجادلًا في هذا الخلاف؛ وكتب ببراعة ونجاح ضد هذا المبدأ، ويمكن القول إن إقامة السيد لي في لندن، ومعرفته

(1) Arthur Lee, The Life Of Arthur Lee, LL.D. Boston: Wells And Lilly, 1829, P.7.
(2) Arthur Lee, Op.Cit, P.9.
(3) Ibid, P.11.

الوثيقة وتواصله مع "حزب الأحرار"، أو حزب المعارضة في إنكلترا، مكّنته من جعلها مثيرة للاهتمام للسياسيين، من خلال معلومات دقيقة تتعلق بمخططات وسياسة مختلف الأحزاب التي تبنت أو عارضت مصالح المستعمرات، وبذلك تمكن من تزويد أخاه بالمعلومات التي تُسهم في العمل الجاد لإيقاد روح المقاومة التي كان إخوته ومساعدوهم الوطنيون يسعون إلى إثارتها ضد تصرفات الوطن الأم التعسفية، وبهذه الطريقة، أسدى السيد لي لبلاده خدمات أساسية، شكّل عدد من الوطنيين جمعيةً باسم **"مؤيدي وثيقة الحقوق"**، وهو ما يُسيء إلى الإدارة البريطانية، خلال عامي 1770 و1771، كانت الخلافات السياسية بين الوزارة والمعارضة عنيفة للغاية، إن الدور الجريء والجاد الذي اتخذه السيد لي، لعدة سنوات، في معارضة التدابير الوزارية، وخاصة تلك التي أثرت على المستعمرات، قد جعله مشهورًا في جميعها، وأصبحت الشخصية التي أسسها ككاتب ومحامٍ معروفة في المستعمرات، ومن ثم في عام 1770، عيّنته جمعية ماساتشوستس وكيلًا لتلك المستعمرة، في حالة غياب أو وفاة الدكتور فرانكلين، الذي كان يقيم آنذاك في لندن بهذه الصفة، واستمر الدكتور فرانكلين في لندن حتى ربيع عام 1774، ومنذ وقت تعيين السيد لي، وحتى عودة الدكتور فرانكلين إلى أمريكا، كان الوكيل الوحيد لجمعية ماساتشوستس[1].

نشأت بين الطرفين علاقة صداقة استمرت، أثناء إقامتهما معًا في لندن استندت على فضائلهما الخاصة، وغذّتها دوافع وطنية متشابهة، وعززتها وأحيتها أبحاثهما ومكتسباتهما العلمية، بعد أن غادر الدكتور فرانكلين إنكلترا، أصبح السيد لي وكيلًا بالنيابة للجمعية، واستمر في هذه الصفة، حتى توجه إلى فرنسا، كعميل سري للولايات المتحدة لدى البلاط ذلك الفرنسي[2].

اتسمت الشؤون الأمريكية في أوائل عام ١٧٧٤، بالاضطراب وبدأت قلوب الكثيرين بالضعف، وشعر الجميع بترقب الخطر والمعاناة، أو الخضوع والعبودية، خاصة بعد ان أصدر البرلمان البريطاني قانونًا لمصادرة ميناء بوسطن، حتى يتم دفع كل التعويضات عن حفلة شاي بوسطن، والاعتراف بالطاعة الكاملة، ثم يُعاد الميناء بالقدر الذي يُريده الملك، ومما يزيد الأمر إثارة للقلق عدم توجيه أي اتهام للمدينة، وعدم تقديم أي دليل يُدينها؛ وبذلك عدة هذه الاجراءات الخطوة الأولى نحو إجبار أمريكا للاعتراف بحق البرلمان في فرض الضرائب عليها، والخضوع لممارسته.[3]

لقد رأى الأمريكيون أن هذا الأمر ذو أهمية كبيرة، لدرجة أنهم تقدموا بطلبات إلى الفروع الثلاثة للهيئة التشريعية لمنع تمرير مثل هذا المشروع؛ ولكنهم لم ينجحوا، وفي شهر تشرين الأول 1775، عيّن المؤتمر لجنة لغرض المراسلة السرية مع أصدقاء المستعمرات، في بريطانيا العظمى وأيرلندا، وأجزاء أخرى من العالم، كان الهدف الرئيسي لهذه اللجنة هو معرفة آراء حكومات فرنسا وإسبانيا ووجهات نظرها بشأن النزاع بين المستعمرات وبريطانيا العظمى؛ ومدى استعدادها لمساعدتهما بالأسلحة والذخيرة والمال، وفي نهاية المطاف إبرام معاهدات تجارية وتحالف معها فمن المعروف أن فرنسا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام النزاع الدائر بين بريطانيا العظمى ومستعمراتها، لذا رغبت اللجنة في معرفة رأيها في هذا الموضوع بشكل مباشر، ولتمكينهم من تحقيق هدفهم، خُوِّلت اللجنة بتعيين أعضاء سريين للحصول على معلومات دقيقة[4].

عيّنت اللجنة، التي عُرفت بـ**"اللجنة السرية للكونغرس"**، السيد لي عميلاً سرياً لها في لندن، أُبلغ بهذا التعيين من خلال رسالة موجه من تلك اللجنة، وموقعة بخط الدكتور فرانكلين، وجون ديكنسون وجون جاي، مع مبلغ وقدره 200 جنيه إسترليني[5].

---

(1) The Revolutionary Diplomatic Correspondence Of The United States*. 6 Vols. Washington: Government Printing Office, 1889, P.56.
(2) The Revolutionary Diplomatic Correspondence Of The United States op.cit , P.58.
(3) Louis W. Potts, Arthur Lee: A Virtuous Revolutionary. Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1981, P.16.
(4) Stacy. Schiff, A Great Improvisation: Franklin, France, And The Birth Of America. New York: Henry Holt, 2005, P.69.
(5) Ibid, 70.

تصرف السيد لي بحماسة بصفته وكيلًا للجنة السرية للكونغرس، بل بنشاط أكبر مما كان عليه سابقًا، وبذل قصارى جهده في سبيل بلاده بثقة أكبر، وشعورًا منه بأن منصبه الجديد كوكيلٍ لهيئةٍ محترمةٍ كمجلس النواب القاري قد أعطى أهميةً وثقلًا أكبر لجهوده، لذا أطلق العنان لفكره الوطني النشط، ومنذ ذلك الحين وحتى مغادرته إنكلترا، كرّس نفسه تقريبًا للشؤون العامة، فسعى وحصل على عدة مقابلات مع السفير الفرنسي في بلاط بريطانيا العظمى، وحثّه في منح المستعمرات عبارات التهنئة على صداقتها، بل ومساعدتها [1].

أرسل الكونت دي فيرجينيس، رئيس وزراء لويس السادس عشر آنذاك، رجلاً من النبلاء بطريقة سرية إلى السيد لي في لندن، لإبلاغه أن الحكومة الفرنسية لا يمكنها الدخول في حرب مع إنكلترا؛ لكنهم سيساعدون أمريكا بإرسال أسلحة وذخيرة بقيمة 200 ألف جنيه إسترليني من هولندا هذا الخريف إلى سانت أوستاتيا أو مارتينيك أو كيب فرانسوا؛ وأن الطلب يجب أن يُقدم إلى حكام أو قادة تلك الأماكن، عن طريق شركة هورتاليز؛ وسيتم تسليم المواد المذكورة أعلاه للأشخاص المصرح لهم بالتقدم بطلباتهم [2].

توجه السيد لي إلى باريس في شتاء عام ١٧٧٦، بتوجيه من اللجنة السرية للكونغرس بصفته عميلاً سريًا لهم، لتحسين الموقف الإيجابي لفرنسا تجاه المستعمرات، وبهذه الصفة، استقبله الكونت فيرجينيس وعامله بلطف واحترام، لم يقتصر السيد لي على جهوده في الوزارة الفرنسية وحدها، بل عمل على تأجيج نفس المشاعر في أذهان الرجال البارزين والمؤثرين في فرنسا الذين لم يشغلوا أي مناصب رسمية؛ وإيقاظ شعور حسن النية تجاه أمريكا في الأمة الفرنسية، ولتمكينه من ذلك، تعرّف على فئة الرجال المؤثرين، وكتب مقالات قصيرة في مجلات ذلك العصر، مُعدّة لتعريف الرأي العام بعدد سكان المستعمرات، ومنتجات بلادها، والمزايا التجارية التي تُقدّمها لفرنسا[3].

برز في فرنسا، ابان تلك المدة رجالٌ كثيرون كان لهم تأثيرٌ كبير على الرأي العام، رغم أنهم لم يشغلوا مناصب حكومية، ولم يشاركوا إلا قليلاً فيما يمكن تسميته بالسياسة العملية، وقد اكتسبوا هذا التأثير من شهرة علمهم وكتاباتهم السياسية، وقد وجد السيد لي من خلالهم منفذًا سهلًا؛ مستخدما قدراته وتحصيلاته الأدبية والعلمية في جذب انتباههم إلى شؤون أمريكا، ومن بين هؤلاء الأشخاص، تورغو الشهير، اذ تمكن السيد لي من خلاله عرض قضية بلاده ومطالبته الحكومة الفرنسية وحثها في تقديم المساعدة على انتزاع استقلالهم السياسي من إنكلترا K وقد تأثر الكونت دي فيرجينيس بالتمثيل القوي للسيد لي، فقدّم للملك في عام 1776 مذكرة تفصيلية عن الشؤون الأمريكية، مصحوبتاً بتأملات تورغو حول هذا الموضوع، كانت السياسة التي نصحت بها هذه المذكرة، وطابقتها تأملات تورغو، هي تسهيل حصول المستعمرين على ما يحتاجونه من السلع والأموال والأسلحة؛ ولكن دون التخلي عن الحياد، ودون منحهم ذلك بصورة مباشرة [4].

ولتنفيذ خطة مساعدة الأمريكيين هذه، وجّه فيرجينيس أحد مساعديه بإبلاغ السيد لي بآراء البلاط الفرنسي وقراراته بشأن أمريكا، نقل السيد لي هذه المعلومات والمتضمنة الوعد الرسمي بالمساعدة من البلاط الفرنسي إلى الدكتور فرانكلين وروبرت موريس[5].

بقي السيد لي في باريس عميلاً سرياً للكونغرس من ربيع عام ١٧٧٦ حتى خريفه، ثم عاد إلى إنكلترا، وأقام في لندن حتى شهر كانون الاول، عندها تلقى إشعاراً رسمياً بتعيينه مفوضاً في فرنسا، فعاد إلى باريس، وقد أسعد سلوكه بصفته عميلاً سرياً في فرنسا تلك الهيئة كثيراً، اذ لم يتقيد بتعليماته بدقة[1].

---

(1) William C. Stinchcombe, The American Revolution And The French Alliance. Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1969, P.93.
(2) Ibid, P.99.
(3) Jonathan R. Dull, A Diplomatic History Of The American Revolution. New Haven: Yale University Press, 1985, P.41.
(4) Richard B. Morris, The Peacemakers: The Great Powers And American Independence. New York: Harper & Row, 1965, P.29.
(5) Ibid, 30.

سعى السيد لي جاهداً بعد ان تلقى إشعاراً رسمياً بتعيينه مفوضاً في فرنسا لكسب اهتمام سفراء القوى المختلفة آنذاك في باريس؛ وبتوجيهه انتباههم إلى صراع المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية، وبتزويدهم بمعلومات صحيحة عن شؤونهم، ألهمهم احترام بلاده واهتمامهم بها كما سعى جاهداً لجذب اهتمام السفير الإسباني وقد نجح في ذلك، لدرجة أنه اقترح على البلاط الملكي الاسباني الانضمام إلى فرنسا في مساعدة الولايات المتحدة سراً بالمال والسلاح وغيرها من الإمدادات الحربية[2].

بعد أن أعلنت المستعمرات نفسها ولايات حرة ومستقلة شرع الكونغرس في إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الأجنبية، وتعيين مفوضين لتمثيل الولايات المتحدة لدى تلك الحكومات التي اعتبروها الأكثر أهمية وسلطة، فانتُخب السيد لي، مع السيد سيلاس دين، عضوًا في لجنة مشتركة لدى بلاط فرنسا، والتي انضم إليها الدكتور فرانكلين لاحقًا من خلال رسالة من اللجنة السرية، التي سُميت، منذ إعلان الاستقلال، **"لجنة المراسلات."**، في كانون الأول عام ١٧٧٦، قرر الكونغرس تعيين مفوضين في محاكم فيينا وإسبانيا وبروسيا [3].

وبعد وصول المفوضان (السيد سيلاس دين والدكتور فرانكلين) الى باريس، بدأوا على الفور مؤتمراتهم ومفاوضاتهم مع حكومة فرنسا وقدموا إلى تلك الحكومة مذكرة يطالبون فيها البلاط الفرنسي بدعم استقلال الولايات المتحدة بما يحتاجونه، كما زود مفوضو بلاط فرنسا بخطة معاهدة لتقديمها إلى تلك الحكومة مصحوبة بتعليمات مفصلة، وعملاً بالتعليمات، اقترحوا على الفور تشكيل معاهدة تحالف وتجارة مع فرنسا، لكن فرنسا عانت بشدة في حربها مع بريطانيا العظمى (الحرب الفرنسية الهندية 1754-1763)، لدرجة أنها رفضت في ذلك الوقت الدخول في أي نوع من المعاهدات مع الولايات المتحدة، خشية أن تعتبرها إنكلترا انتهاكًا للحياد، وسببًا للحرب ضد فرنسا، ومع ذلك، فقد ضغط المفوضون على الوزارة الفرنسية من وقت لآخر لإثارة الموضوع، وقد أبدى الملك وحكومته أقصى درجات حسن النية تجاههما[4].

زُوّدت الولايات المتحدة بمخزون كبير من المؤن الحربية الفرنسية، ومُنحت قرضًا ماليًا، نُفِّذ كل شيء بسرعة، وبسرية تامة، لمساعدة الولايات المتحدة في مواصلة الحرب، حظيت قضية أمريكا بشعبية كبيرة لدى الشعب الفرنسي، وأصبحت موضوعًا لتصفيق حماسي من خطبائهم وشعرائهم، وموضوعًا للاهتمام والتأمل لدى رجال الدولة والبلاط، خاصة بعد الوضع المأساوي الذي عاشته الولايات المتحدة ابان شتاء عام ١٧٧٧[5].

استولت سفينة بريطانية مسلحة ابان تلك المدة على سفينة تابعة للولايات المتحدة، قريبة جدًا من الساحل الفرنسي، مما اعتبره المفوضون انتهاكًا للحياد وإهانةً لكرامة فرنسا، وفي الوقت نفسه، تلقوا معلومات من إنكلترا تفيد بأن أسطولًا قد أُمر بالإبحار قرب الساحل الفرنسي، لاعتراض بعض السفن التجارية المحملة بالتبغ والتي أبحرت من الولايات المتحدة، فاستخدم المفوضون تلك الحادثة وسيلة لحث فرنسا على التدخل المباشر[6].

عملاً بقرار الكونجرس بتعيين مفوضين في الحكومات العديدة المذكورة أعلاه، تم تكليف الدكتور فرانكلين بالتفاوض مع إسبانيا قبل تعيين السيد لي في تلك الحكومة، وقد ذكر أنه بينما كان يعمل كعميل سري للكونغرس في باريس، فقد عقد عدة مؤتمرات مع السفير الإسباني، وقد نجح في إثارة الاهتمام في ذهنه بشعب الولايات المتحدة، مما أقنعه بتمثيل موقفهم أمام حكومته، كما نجح في الحصول على وعد من الحكومة الإسبانية بالمساعدة المالية السرية، وبعد إبلاغ الكونغرس بالإجراءات الودية للحكومة الإسبانية،

---

(1) James Breck Perkins, France In The American Revolution. Boston: Houghton Mifflin, 1911, P.52.
(2) Ibid, P.55.
(3) Ronald W. Clark Benjamin Franklin: A Biography. New York: Random House, 1983, P.81.
(4)Walter Isaacson, Benjamin Franklin: An American Life. New York: Simon & Schuster, 2003, P.68.
(5) Ibid, P.69.
(6) John J. Meng, Despatches And Instructions Of Conrad Alexandre Gérard, 1778-1780. Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1939, P.27.

صدرت تعليمات للمفوضين بتشجيعهم، ومن أجل القيام بذلك بشكل أكثر فعالية، تقرر إيفاد أحد أفراد هيئتهم إلى مدريد، رفض الدكتور فرانكلين التعيين في إسبانيا، وأطلع الكونغرس على أسبابه فتم اختيار السيد لي لهذه المهمة، غادر السيد لي باريس في شباط ١٧٧٧، وتوجه إلى فيكتوريا، ومنها إلى بورغوس، عُيّن السيد لي في الأول من ايار من ذلك العام، مفوضًا وحيدًا في إسبانيا، وبموجب قرار من الكونغرس، أُعلن أن هذا التعيين لا يقطع أو يوقف صلاحياته وواجباته كمفوض مشارك لدى بلاط فرنسا[1].

بعد أن علمت حكومة لندن بتعيين مفوض امريكي في حكومة إسبانيا، سارعت إلى منعها من استقباله أو تأييد الولايات المتحدة بأي شكل من الأشكال، وقد عانت إسبانيا، شأنها شأن فرنسا، معاناة شديدة في الحرب مع إنكلترا (حرب السبع سنوات)، كما احتج السفير الإنكليزي على استقبال السيد لي في مدريد كمفوض من الولايات المتحدة، أثناء إقامته في بورغوس، فأثار هذا الاحتجاج استياء البلاط الإسباني، وطلب من السيد لي عدم مواصلة رحلته، طالبين منه العودة إلى باريس، وامر السفير الإسباني في باريس بمواصلة علاقاته الودية مع المفوضين الأمريكيين، كما وُجهت مذكرة إلى الوزير الإسباني في مدريد، ردًا على الرسائل التي تُبلغ السيد لي باعتراض البلاط البريطاني، ورغبة الملك الاسباني في عدم توجهه إلى مدريد.[2]

في الوقت الذي كان فيه السيد لي في بورغوس يُراسل الوزير الإسباني بشأن توجهه إلى مدريد، كتب مذكرات إلى البلاط الاسباني تُبيّن **"الوضع الراهن للنزاع بين أمريكا وبريطانيا العظمى"**. لتدعيم حججه حول ملاءمة إسبانيا وسياستها في استقبال مفوض من الولايات المتحدة، والدخول في علاقات دبلوماسية معها[3].

سُمح للسيد لي أخيرًا بالتوجه، إلى مدريد، وهناك بذل كل ما في وسعه، لحثّ البلاط الإسباني للانخراط في دعم قضية الحرب الامريكية ضد بريطانيا ومع ذلك، دفعت آراء سياستها الخارجية إلى اتباع نهجٍ يتسم بالحذر الشديد والسرية وقد طمأن المفوض بحسن نية الملك والأمة الاسبانية، بتقديم وعود بالانضمام إلى فرنسا في تقديم المساعدات المالية والأسلحة للولايات المتحدة.[4].

إن إقامة السيد لي في مدريد، على الرغم من أنها لم تسفر عن أي مساعدة علنية أو محددة، إلا أنها لم تخلو من الخدمة الأساسية لقضية الولايات المتحدة، اذ ساهم في تزويد الوزارة والرجال العموميين في إسبانيا بمعلومات دقيقة عن شخصية وحالة ومستقبل الشعب الأمريكي، مما أدى إلى الاحترام والود لهم. عاد إلى باريس في ربيع عام 1777 بهذه النتيجة، وحصل على التعليمات من بلاط إسبانيا إلى وزيرها في باريس، مما حافظ على اتصال وثيق وحميم بينه وبين السيد لي، ومكنه أخيرًا من النجاح في الحصول على قرض كبير من الحكومة الإسبانية، وبعد عودة السيد لي إلى باريس استأنف أعماله مع باقي المفوضين في فرنسا[5].

تكاسلت الحكومة الفرنسية في أوائل عام ١٧٧٧، عن تقديم أي مساعدة علنية، أو القيام بأي عمل يمكن أن تفسره بريطانيا العظمى على أنه اعتراف باستقلال الولايات المتحدة، أو تحالف معها، ولذلك، رأى المفوضون أنه من الحكمة تقسيم جهودهم، وبذل جهود مماثلة لحشد قوى دول أخرى لصالح القضية الامريكية، لذا حوّلوا انتباههم إلى بروسيا عند عودة السيد لي من إسبانيا، التي سبق لهم أن راسلوا

---

(1) Samuel Flagg Bemis, The Diplomacy Of The American Revolution. Bloomington: Indiana University Press, 1957, P.31.

(2) Felix Gilbert, To The Farewell Address: Ideas Of Early American Foreign Policy. Princeton: Princeton University Press, 1961, P.59.

(3) James H. Hutson, John Adams And The Diplomacy Of The American Revolution. Lexington: University Press Of Kentucky, 1980, 61.

(4) Ibid, P.62.

(5) Ibid, P.80

وزيرها في ربيع عام ١٧٧٧، كان السيد ويليام لي، الذي كان آنذاك يعمل وكيلًا للكونغرس في هولندا، قد عُيّن مفوضًا لدى حكومة برلين[1].

استشار السيد لي المفوضين في باريس بشأن توجهه الى هولندا نظرا لأهمية الشؤون التجارية والمالية الامريكية معها، واقترح أن يتوجه أحدهم إلى برلين بدلًا منه، وبعد دراسة الأمر، تقرر أن مصالح الولايات المتحدة تقتضي توجه (السيد لي) الى بروسيا بعد اجراء مراسلات فورية معها ودون انتظار استشارة الكونغرس لانقضاء عدة أشهر دون تلقي إجابات على اتصالاتهم من أمريكا[2].

بناءً على رغبة وتعليمات السيدين فرانكلين ودين، غادر السيد لي باريس في الأول من حزيران عام ١٧٧٧ متوجهًا إلى برلين، وقد رسم المفوضون ثلاثة أهداف رئيسية يمكن تحقيقها من خلال مهمة السيد لي إلى برلين؛ اولها إنشاء علاقات تجارية بين بروسيا والولايات الأمريكية؛ وثانيا منع أي مساعدة من بروسيا إلى بريطانيا العظمى تمر من خلال الأمراء الصغار عبر ممتلكات بروسيا؛ وثالثا السماح بشراء المعدات الحربية من التجار البروسين[3].

اتصف الدور الذي قام به السيد لي ابان تلك المدة بالشاق والدقيق، اذ لم تكن بروسيا آنذاك محايدة بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة فحسب، بل كانت لديها معاهدات مع إنكلترا، بمجرد وصوله إلى برلين، طلب مقابلة رئيس الوزراء، البارون شولنبرغ، سُمح له بالإقامة في برلين والتواصل سرًا مع البلاط البروسي، وتلقى تأكيداتٍ على حسن نية الملك فريدريك الكبير، وعلى اهتمامٍ مُبكرٍ بالمقترحات التي طرحها السيد لي على الوزير [4].

افتتح السيد لي مهمته بتقديم مذكرته، التي صاغ حقائقها وحججها واستنتاجاتها بمهارة مُذهلة، لتحقيق الغايات التي يصبو إلى تحقيقها، وقد ذكر البارون شولنبرغ العقبات التي تعترض أي إجراء من جانب بروسيا لصالح الولايات المتحدة، ويسعى السيد لي جاهدًا إلى إزالتها، بعد أيام قليلة من وصول السيد لي إلى برلين في 9 يونيو 1777، فُتح باب غرفته بمفتاح مزيف، وسُحبت منه جميع أوراقه العامة، فدار الشك بأن من سرقها هو خادم المبعوث الإنكليزي في بلاط برلين، المقيم في الفندق نفسه مع السيد لي عند ذلك اشتكى السيد لي من السرقة إلى وزير الدولة، ووجّه مذكرة إلى الملك بهذا الشأن، أمر الملك بإجراء تحقيق في القضية من قبل ضباط الشرطة، واعيدت أوراقه بنفس الطريقة التي سُلبت بها[5].

لم ينجح السيد لي خلال زيارته لبرلين في الحصول على اعتراف رسمي من البلاط باستقلال الولايات المتحدة، اذ دفعت العلاقات القائمة بين بروسيا وبريطانيا العظمى الملك إلى تأجيل الاعتراف بالاستقلال الولايات المتحدة، وقد بيّن البارون شولنبرغ في الرسالة الموجهة إلى السيد لي قبل مغادرته برلين الصعوبات التي واجهت البلاط البروسي في تقديم أي مساعدة أو مساندة مباشرة من جانبه تجاههما[6].

كان الانطباع الذي تركه السيد لي في ذهن فريدريك ووزيره إيجابيًا ومشرفًا للغاية لبلاده وقضيتها، نجح في الحصول على تأكيد من فريدريك بأنه لن يقدم أي تسهيلات لبريطانيا العظمى في الحصول على قوات إضافية، وأنه سيمنع مرور أي قوات بريطانية عبر أي جزء من أراضيه كما حصل على إذن لمواطني الولايات المتحدة بممارسة تجارة مباشرة مع رعايا بروسيا؛ وشراء أسلحة للولايات المتحدة من مستودعات الأسلحة التي كان الملك يزود جيوشه منها[7].

---

(1) Piers Mackesy, The War For America, 1775-1783. Lincoln: University Of Nebraska Press, 1993, P.88.
(2) Piers Mackesy, op.cit, P.89.
(3) Schulte Nordholt, Jan Willem. The Dutch Republic And American Independence. Chapel Hill: University Of North Carolina Press, 1982, P.109.
(4) Ibid, P.110.
(5) Max Savelle, The Origins Of American Diplomacy: The International History Of Anglo-America, 1492-1763. New York: Macmillan, 1967, P.201.
(6) Piers Mackesy, op.cit. P.202.
(7) Ibid, P.203.

غادر السيد لي برلين مُتفقًا على ضرورة استمرار المراسلات بينه وبين شولنبرغ بشأن شؤون الولايات المتحدة، وطُلب منه إبقاء الملك على اطلاع دائم بأحداث الحرب مع بريطانيا العظمى؛ وتلقّى تأكيدات بأن بروسيا **" لن تكون آخر قوة تعترف باستقلال "** بلاده[1].

جدد السيد لي مفاوضاته في صيف عام ١٧٧٨، مع بلاط برلين بشأن الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة، وتلقى تأكيدات باستمرار حسن نية الملك تجاه الولايات المتحدة، واستعداده لدعم فرنسا في الاعتراف بسيادة واستقلال الولايات المتحدة، واستغل السيد لي دعوة البلاط البروسي لاطلاعهم على أحداث الحرب.[2]

عند عودة السيد لي إلى باريس، وجد المفاوضات مع بلاط فرنسا في نفس الحالة التي تركها عليها، وعلى نفس القدر من الحذر الذي ميز سلوك الحكومة الفرنسية في الجزء الأول من العام السابق، عندها جدد السيد لي المراسلات مع البلاط الفرنسي بناءً على طلب الكونغرس، بهدف الحصول على إمدادات من المدافع وغيرها من المعدات العسكرية، عند ذلك نجح في الحصول على العدد المطلوب من المدافع، وكمية كبيرة من الإمدادات الأخرى، في وقت تقديمه للطلب، لم يكن لدى الولايات المتحدة أي أموال تقدمها الى فرنسا، لدفع ثمن هذه الإمدادات باستثناء التبغ وهو المادة الوحيدة التي يُمكن للولايات المتحدة رهنه للحصول على القروض وعلى ما تحتاجه من امدادات عسكرية المحفوف بمخاطر استيلاء السفن البريطانية عليه، لكن نفوذ السيد لي لدى الكونت فيرجينيس كان كبيرًا لدرجة أنه حصل على الإمدادات مُسبقًا، بضمانه الشخصي لسداد ثمنها[3].

استفسرت الحكومة الفرنسية من السيد لي في عام ١٧٧٨، عن الموعد المتوقع لتسليم الأموال مقابل تلك الإمدادات المقدمة للولايات المتحدة، والتي لم تتمكن من سدادها، عند ذلك قدّم السيد لي اعتذارًا عن تأخر سدادها، وأرفق به عرضًا واضحًا لحالة الولايات المتحدة في حرب الدمار التي شنّتها القوات البريطانية على أراضيها، وأكد للحكومة الفرنسية، بأنها ستنتظر بفارغ الصبر استعادة قدرتها على سداد الدين [4].

أُبلغ السيد لي من مراسل سري في تشرين الاول عام ١٧٧٨، أن السجناء الأمريكيين في إنكلترا يُعاملون بقسوة وإهمال، فعرض الأمر على زملائه على الفور، وراسل أصدقاءه في إنكلترا، حاثًا إياهم على تحمل مسؤولية وشرف توفير وسائل الراحة التي يحتاجها أبناء وطنه المعذبون، وبعد التشاور، قرر المفوضون توجيه رسالة إلى اللورد نورث، يحثون فيها الحكومة البريطانية، باسم الإنسانية في تحسين معاملة السجناء الأمريكيين [5].

وجّه السيد لي، بصفته مفوضًا لدى حكومة إسبانيا في 9 كانون الاول 1778، مذكرة إلى السفير الإسباني في باريس، بشأن الوضع الراهن بين الولايات المتحدة وفرنسا، وتذكير الحكومة الإسبانية بالعروض التي قدمها السيد لي، بشأن انضمام إسبانيا إلى فرنسا في معاهدة تحالف وتجارة مع الولايات المتحدة.

بعد أيام قليلة من تقديم تلك المذكرة، وصلت أنباء استسلام بورغوين إلى المفوضين، فعرضوها على البلاط الفرنسي فورًا، وأبلغ السيد لي السفير الإسباني بالخبر المفرح، وكتب إلى البارون شولنبرغ، وإلى جميع مراسليه في هولندا، معلنًا لهم انتصارًا حققته قوات بلاده المستقلة على المحاربين البريطانيين القدامى[6].

كان لهذا النبأ أثرٌ بالغٌ على نفوس شعوب أوروبا وسياسات حكوماتها، وسرعان ما تجلى ذلك في تهاني وزراء فرنسا وإسبانيا، التي قُدّمت بعباراتٍ حماسيةٍ للمفوضين، وبدأت حكومات هاتين الدولتين تشعر بقوة التمثيلات السابقة للمفوضين الأمريكيين، بأن أمريكا لديها عزيمةٌ قوية على مواصلة الحرب، ولديها

---

(1) Ibid, P.206.
(2) Schulte Nordholt, Op.Cit, P. 111.
(3) Gerald Stourzh, Benjamin Franklin And American Foreign Policy. Chicago: University Of Chicago Press, 1954, P.90.
(4) Ibid, P.91.
(5) Ibid, P.93.
(6) Francis Ed Wharton, The Revolutionary Diplomatic Correspondence Of The United States. 6 Vols. Washington: 1889, P.23.

فرصٌ معقولةٌ للنجاح، عند ذلك بدأت الحكومات الاوربية، وخاصةً حكومة فرنسا، تخشى أنه إذا تُركت أمريكا لتُواصل حربًا طويلةً بمفردها، والتي ستُفضي إلى الانتصار، فإنها ستفقد ميزة حسن النية والامتنان اللذين ستُحدثهما المساعدة المُقدمة فورًا في نفوس شعب الولايات المتحدة، واللذين سيُفضيان ليس فقط إلى صداقةٍ دائمة، بل إلى شروطٍ مواتيةٍ للتعامل التجاري في المستقبل، كما بدأت تُدرك أيضًا الاحتمال القوي لانفصال الولايات المتحدة تمامًا عن بريطانيا العظمى، وضمان استقلالها، كلما أصبح التأكد من هذه الأحداث أكبر، كلما زادت الحوافز التي تدفع فرنسا إلى تحمل تكاليف ومخاطرة احتمالات الحرب مع إنكلترا، لذا غيّر البلاط الفرنسي سياسة تجاه الولايات المتحدة؛ ومع أن البلاط الإسباني لم يُلبِّ هذا الطلب بسرعة، إلا أن تأكيداته على الصداقة والمساعدة أصبحت أكثر جديةً ووضوحًا[1].

دخلت الحكومة الفرنسية فورًا في مفاوضات بشأن معاهدة تحالف وعلاقات تجارية، في حين تذرعت الحكومة الاسبانية ان سبب تأخيرها في التحالف مع الولايات المتحدة هو الخطر الذي سيتعرّض له أسطولها العائد من أمريكا الجنوبية محملاً بالفضة بسبب التحالف العلني معها.

ويبدو أن مسودة الاتفاق الأولى للمعاهدة التي قدمتها الوزارة الفرنسية لم تتضمن كلمة **"سيادة"** عند الحديث عن الولايات المتحدة، عند ذلك حثّ السيد لي زملاءه على ضرورة الإصرار على اعتراف صريح بسيادة واستقلال الولايات المتحدة، وإدراجه فورًا في المعاهدة المقترحة، ودعمًا لرأيه في ضرورة وواجب المفوضين الأمريكيين في الإصرار على هذا الاعتراف عند بدء المفاوضات، أشار إلى حالة هولندا، التي لم يُعترف باستقلالها لما يقرب من نصف قرن بعد تحررها من التاج الإسباني، وبناءً على اقتراحه، أُضيفت مادة تحدد ممتلكات الفرنسية وممتلكات بريطانيا العظمى، في قارة أمريكا الشمالية، والتي كانت فرنسا مُلزمة بعدم محاولة غزوها خلال الحرب[2].

وعند الاطلاع على مواد الاتفاقية بين فرنسا والولايات المتحدة نجد ان المادتين الحادية عشرة والثانية عشرة من المعاهدة هي الأكثر أهمية في تاريخ المفاوضات المبكرة بين الولايات المتحدة وفرنسا، وقد جُسدت مقترحات الحكومة الفرنسية التي شكلت هذه المواد في وقت ما في المعاهدة، اذ كانت فرنسا آنذاك تمتلك الجزر الرئيسية في جزر الهند الغربية، والتي تُنتج أكبر مخزون من دبس السكر، وقد اقتُرح على مفوّضي الولايات المتحدة أن تُعفى جميع البضائع التي يُصدّرها الفرنسيون من الولايات المتحدة إلى الجزر الفرنسية التي تُنتج دبس السكر، بينما تُعفي فرنسا دبس السكر الذي يُصدّره مواطنوها من جزرها إلى الولايات المتحدة من جميع الرسوم الجمركية، وبما أن مبدأ هذه المواد، وكذلك سياستها، كانا موضع خلاف بين المفوّضين، وصعوبة في التفاوض؛ فقد أصبحا موضوع نقاش ومفاوضات في الكونغرس[3].

عارض السيد لي بشدة، منذ بداية المفاوضات هذه المواد، وبالأخص اعتماد اقتراح المادة الثانية عشرة، على أساس أن الإعفاء المنصوص عليه في تلك المادة كمعادل لإعفاء المادة الحادية عشرة، كان من المقرر أن تُعفى المادة الوحيدة (الدبس) التي سيتم أخذها من الجزر الفرنسية من الرسوم من قبل فرنسا؛ ولكن البضائع التي يُصدرها رعايا فرنسا إلى تلك الجزر، كان من المقرر أن تُعفى من الرسوم من قبل الولايات المتحدة، وعلى الرغم من ان السيد لي كان حريصًا على تأمين تحالف مع فرنسا، لكنه لم يكن ميالًا إلى تأمينه بهذا الثمن، لقد زعم أن المعاملة بالمثل يجب أن تشكل أساس المعاهدة، وأنه يجب أن يكون هناك بعض التناسب العادل بين المتكافئين. ولاحظ بقوة أن الموافقة على هذه المواد ستكون بمثابة إذن لفرنسا، **"بربط كلتا يدي الولايات المتحدة"**، من أجل امتياز " **ربط أحد أصابعها** " وبما أن الحكومة الفرنسية بدت راغبة في الاحتفاظ بهذه المواد، وبما أن زملاء السيد لي وافقوا عليها، فقد تنازل عن اعتراضاته، ويذكر أن أسباب تنازله عن الاعتراضات، والتي بدت في رأيه لا تُقهر، هي رغبته في إظهار إجماع المفوضين، والتوصل إلى نتيجة سريعة لمفاوضاتهم بشأن المعاهدة، ولكن بعد تأمل أعمق، ازداد تأثره بعدم قناعته بهذه المواد، فرفض في النهاية توقيع المعاهدة ما لم يكن هناك تفاهم صريح مع الحكومة الفرنسية، على اعتبارها قابلة للموافقة أو الرفض من قِبل كونغرس الولايات المتحدة؛ وألا يُشكّل

---

(1) Francis Ed Wharton, op.cit, P.25.

(2) Stacy Schiff, A Great Improvisation: Franklin, France, And The Birth Of America. New York: Henry Holt, 2005, P.69.

(3) Francis Wharton, Op.Cit, P.55.

رفضها عائقًا أمام التصديق على المعاهدة، أجاب الوزير الفرنسي بأنه بما أن المعاهدة قد صدَّق عليها الملك، ومختومًا بختمه، فلا يمكن محو موادها؛ ولكن اقتراح السيد لي سيُقبل، فتم الاتفاق على أن تبقى المادتان في المعاهدة، رهنًا باعتمادهما أو رفضهما من قِبَل الكونغرس؛ وأن رفضهما من قِبَل ذلك المجلس لا يُبطل التصديق على المعاهدة، انضم السيد لي إلى زملائه في التوقيع عليها، ونُقلت هذه الوثيقة على الفور إلى أمريكا[1] .

استقبل الكونغرس وشعب الولايات المتحدة المعاهدة بفرح وامتنان كبيرين، ولكن حالما تحرر الكونغرس والشعب من تلك المشاعر وتقدم النظر للمعاهدة في ضوء العقل، كانت النتيجة رفضا حاسمًا ضد المادتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وكلف الكونغرس مفوضيه بإبلاغ الحكومة الفرنسية برفضهما، وإبلاغها بأن الكونغرس قد وافق على المبدأ الذي تم التفاوض على المعاهدة على أساسه، ويجب ترك كلتا الدولتين دون قيود بموجب شروط المعاهدة، لتبني في المستقبل لوائح تجارية ملاءمة لمصالح الطرفين، وافقت الحكومة الفرنسية على حذف المواد، وتم التصديق على المعاهدة نهائيًا وكاملاً بدونها، بروح من الانسجام التام وحسن النية[2].

ابان مدة المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، كان السيد لي، بصفته وزيرًا مفوضا من الولايات المتحدة لدى بلاط إسبانيا، مدركًا لواجباته بهذه الصفة، وسعى جاهدًا لضمان انضمام إسبانيا الفوري إلى معاهدة التحالف والتجارة المبرمة مع فرنسا، لكن كل جهوده باءت بالفشل في تحريك السياسة البطيئة والحذرة لذلك البلاط، ورفض في الوقت الحاضر الانضمام إلى فرنسا في المعاهدة مع الولايات المتحدة، لكن السيد لي حصل على بند سري ومنفصل لإبرامه من قبل ملك فرنسا، وكان مضمونه أن جلالته وعند إبرام معاهدة الصداقة والتجارة والتحالف الدفاعي النهائي مع الولايات المتحدة، قد احتفظ بالحق الكامل لملك إسبانيا، بالانضمام المستقبلي إلى المعاهدات والاستفادة من نصوصها[3].

لم تكلل جهود السيد لي خلال عام 1778 لإقناع البلاط الإسباني بالانضمام إلى المعاهدات المبرمة مع فرنسا، اذ استمر البلاط الاسباني في رفض جميع مقترحات السيد لي رفضًا قاطعًا، في النهاية سئم السيد لي من ذلك الرفض؛ فقرر التوجه إلى مدريد، والاستفادة من لقاءات شخصية مع الكونت فلوريدا بلانكا. ونظرًا لشكوكه في ملاءمة أو جدوى هذه الخطوة، استشار الكونت دي فيرجينيس حول هذا الموضوع، نصح الكونت السيد لي بعدم إثارة الموضوع أكثر في البلاط الإسباني في هذا الوقت، استرشد السيد لي بمساعديه، ولم يذهب إلى مدريد، بل واصل المراسلات الودية مع وزير إسبانيا في باريس، ورغم أن إسبانيا رفضت طويلاً مبادرات الولايات المتحدة لتحالف مفتوح، إلا أن حسن تفاهمها وتوجهاتها الودية تجاه الأخيرة، قد استمرت[4].

كانت الشؤون المالية للولايات المتحدة في وضع محرج للغاية ابان عام ١٧٧٨، اذ شهدت عملتها الورقية انخفاضا سريعا في قيمتها الفعلية مصحوبًا بعواقب وخيمة، وهدد بمخاطر مستقبلية أشد وطأة، ونتيجةً لهذا الوضع، أصدر الكونغرس في 1778 قرارًا يُلزمهم ويأذن لهم بحثّ المفوضين في مختلف الحكومات على تقديم طلب عاجل وجاد للحصول على قرض بقيمة مليوني جنيه إسترليني، وفقًا للشروط المحددة في القرار، وفور وصول القرار والتعليمات إلى باريس، وجّه السيد لي هذه الرسالة إلى الحكومة الإسبانية عبر سفيرها المقيم في باريس[5].

بذل السيد آرثر لي، بنشاطه وحماسه المعهود، جهودًا كبيرة لكسب ود وزراء هولندا ورجالها تجاه بلاده، وكسب احترامهم واهتمامهم بشؤونها، من خلال اقتراحات ودوافع السياسة، وبهذه الآراء، راسل بعضًا

---

(1) Ronald Hoffman, And Peter J. Albert, Eds. Diplomacy And Revolution: The Franco-American Alliance Of 1778. Charlottesville: University Press Of Virginia, 1981, P,88.
(2) Ibid, P.98.
(3) Ibid,, P,91.
(4) Cresson, W. P. Francis Dana: A Puritan Diplomat At The Court Of Catherine The Great. New York: L. Macveagh, 1930, P.62.
(5) Ibid, P.67.

من كبار رجال تلك الدولة، وزودهم بمعلومات عن شعب الولايات المتحدة ومؤسساتها، ومواردها وتجارتها[1].

وصل جون آدامز في الثامن من نيسان عام ١٧٧٨ إلى باريس، بعد ان عُيّن مفوضًا في فرنسا بقرار من الكونغرس، نزل في غرفة السيد دين، لم تكن للسيد لي أي معرفة شخصية سابقة بهذا الرجل؛ لكنّ شخصياتهما وخدماتهما الوطنية والأساسية لبلدهما المشترك كانت معروفةً لكلٍّ منهما منذ زمن طويل، فنشأت بينهما صداقة عميقة، واستمرت طوال حياة السيد لي.

فوض البرلمان البريطاني في ايار عام ١٧٧٨، بعد قراءة عميقة لمعاهدة التحالف والصداقة بين الولايات المتحدة وفرنسا وتوقعت احتمالية وعواقب هذه المعاهدة على الوضع السياسي، لذا أرسلت الحكومة البريطانية وكيلًا خاصًا (بيركن هوت)، إلى باريس، لأغراض مراقبة إجراءات الحكومة الفرنسية، واستطلاع آراء مفوضو الولايات المتحدة الامريكية بشأن موضوع المصالحة مع إنكلترا، توضح هذه الخطوة الجهود الماكرة المبذولة من قبل بريطانيا لعرقلة المعاهدة مع فرنسا. وستوضح في الوقت نفسه الثقة المتبادلة وحسن النية التي كانت قائمة بين فيرجينيس ومفوضي الولايات المتحدة[2].

بذلت الحكومة البريطانية محاولةً، باءت بالفشل كما ذُكر آنفًا، لقطع العلاقات الودية بين فرنسا والولايات المتحدة، ومنع أي اتحادٍ وثيقٍ بين شعبي البلدين، من شأنه أن يُبعد شعوب البلدان الأخيرة عن بريطانيا العظمى، لقد كان شعب الولايات المتحدة واثقًا للغاية من النجاح النهائي، وكان مفتونًا بشدة بفكرة الاستقلال الوطني، لدرجة أنه لم يستمع إلى أي شروط لا تقوم على الاعتراف بها[3].

لذلك اوفدت بريطانيا الدكتور (بيركن هوت) إلى فرنسا في عام 1778، ووجه رسالة إلى السيد لي، أبلغه أن زيارته إلى فرنسا كانت مصرحًا بها من قبل حكومة لندن، وأنه مكلف بأعمال ذات أهمية كبيرة للولايات المتحدة، واستمرت مراسلاتهم تحت توقيعات مزيفة، بناءً على طلب الدكتور بيركن هوت، وسرعان ما أدرك السيد بيركن هوت وطنية وجرأة السيد لي على الرغم من وفائه لذكريات الصداقة وانه وسيرفض بشدة أي فكرة عن أي صلة ببريطانيا العظمى باستثناء ما يدور بين الدول المستقلة، وهنا فشلت جميع محاولات الحكومة البريطانية لوقف تقدّم الأحداث التي أدّت إلى معاهدات التجارة والتحالف بين فرنسا والولايات المتحدة فشلاً ذريعاً[4].

بعد أن تحقق الهدف الأسمى لمهمة السادة (فرانكلين ودين وآرثر لي) لدى بلاط فرنسا بإبرام المعاهدات مع تلك الأمة، كانت الجهود والأعمال الرئيسية للسيد لي خلال عامي 1778 قد كُرّست لواجباته كمفوض وحيد لدى بلاط إسبانيا، وكمفوض بالإنابة لدى بلاط بروسيا، خلال هذه المدة، ساعده شقيقه، (ويليام لي)، في مفاوضاته مع هولندا، انصب اهتمام السيد لي بواجبات هذه اللجان، وجهوده لتعزيز مصالح بلاده، فبعد حصوله على قروض وإمدادات عسكرية من حكومات إسبانيا وهولندا، وحصوله على إذن لشراء أسلحة من المستودعات البروسية، واجه صعوبات جمة في اختيار المواد، وفي الترتيبات اللازمة مع التجار، ومع الوكلاء والوزراء التابعين للحكومات المختلفة، فيما يتعلق بكيفية تأمينها وشحنها[5].

استمر السيد لي في العمل كوكيل لولاية فرجينيا، وكمفوض من كونغرس الولايات المتحدة لدى الحكومة الفرنسية بشأن القروض والإمدادات، فيما يتعلق بإمدادات فرجينيا، وتسليمها وشحنها، أضافت مهام كبيرة إلى الارتباطات الأخرى المختلفة للسيد لي ويتضح ذلك من رسالته إلى اللورد شيلبورن **"إنني عازم على أن أرى حريات بلدي راسخة، أو أن أهلك في نضالها الأخير"**[6].

---

(1) Ibid, P.69.
(2) Elizabeth S. Kite, Beaumarchais And The War Of American Independence. 2 Vols. Boston: Gorham Press, 1918, P.19.
(3) Ibid, P.20.
(4) Lawrence S. Kaplan, Colonies Into Nation: American Diplomacy, 1763-1801. New York: Macmillan, 1972, P.79.
(5) Lawrence S Kaplan, Op.Cit, P.80.
(6) Ibid, P.81.

بعد أن اتخذت علاقة الولايات المتحدة الامريكية مع فرنسا في عام 1778، الشكل المعتاد للعلاقات الطبيعية بين الحكومات القائمة، استجد لدى الكونغرس فكرة بعد استقرار العلاقات الفرنسية الامريكية؛ فتقرر أنه من المناسب تعيين وزير مفوض واحد للإقامة في بلاط فرنسا لتمثيل الولايات المتحدة، لذا انتُخب الدكتور فرانكلين لشغل هذا المنصب في أكتوبر 1778، ونظرًا لعدم وجود شكل محدد لعلاقة الولايات المتحدة الامريكية آنذاك مع إسبانيا وبروسيا وهولندا وألمانيا فقد استمر المفوضون في عملهم لدى تلك الحكومات، في حين ظل السيد لي مفوضًا وحيدًا لدى إسبانيا، ومفوضًا بالإنابة في بلاط بروسيا [1].

انتخب الكونغرس في أواخر عام ١٧٧٩ عدد من المفوضين للتفاوض على معاهدة محتملة للسلام مع بريطانيا العظمى كدولة مستقلة، عند ذلك لم يُنتخب السيد لي، رغم ترشيحه، لهذا المنصب بسبب أهمية دوره في البلاط الاسباني وخبرته فيه، كما ألزمت الضرورة أن يوظف الكونغرس العديد من الوكلاء التجاريين؛ كما ألزمتهم هذه الضرورة بتفويض مفوضيهم بتعيين وكلاء فرعيين للتعامل مع تفاصيل الأعمال التي كان من المستحيل على المفوضين أنفسهم القيام بها، ونظرًا لبعد أماكن إقامة المفوضين عن أماكن صرف الأموال العامة في شراء وشحن الإمدادات الحربية، التي لم يكن من الممكن شراؤها آنذاك إلا في أوروبا، ولغياب نظام محاسبة منتظم، كان من الصعب للغاية، إن لم يكن من المستحيل، ضمان استخدام الاموال العامة بأمانة، اذ اعتمد ذلك على نزاهة الوكلاء المستخدمين وحدهم، وقد أثبت الوكلاء الذين استخدمهم الكونغرس والمفوضون، والتجار الذين أُبرمت معهم العقود، عدم التزامهم بالمبادئ، وكدّسوا ثروات لأنفسهم على حساب الولايات المتحدة، ولمواجهة هذه الإساءة، عارض السيد لي، بكل حزم وبروح لا هوادة فيها، كل ما استطاع من سلطة وضبط، أثار هذا النهج ضده، أشد الكراهية، فسعى هؤلاء الوكلاء لفصله من الخدمة العامة وإعادته إلى الولايات المتحدة، فاستُخدمت أساليب خبيثة ومكر، وبُذلت جهود متواصلة لتحقيق مآربهم فاتهموه بارتباط سري خفي بإنكلترا، وألمحوا إلى كونه جاسوس على زملائه لمصلحة العدو، سعوا أولاً إلى إثارة الشك والريبة ضده في أذهان الوزراء الفرنسيين؛ ولكنهم فشلوا في تحقيق هذا المخطط، فحاولوا بعد ذلك غرس تلك الشكوك في أذهان أصدقائهم ومعارفهم في أمريكا، اذ المحوا الى علاقة الصداقة والمراسلات مع هارتلي وبيركين هوت [2].

كان العديد من هؤلاء العملاء من عائلات محترمة في أمريكا، وكان لبعضهم أقارب وأصدقاء في الكونغرس، ومن خلال تلك التأثيرات وتعاطف أصدقائهم داخل الكونغرس وخارجه، نجحوا في النهاية في إثارة فصيل في ذلك المجلس وخارجه، ومن هنا جاءت نتيجة قرارات الكونغرس بعدم انتخاب السيد لي لمهمة التفاوض مع بريطانيا بشأن معاهدة لإحلال السلام.

ويذُكر أن أعداء السيد لي سعوا إلى بثّ الشك في اروقة الحكومة الفرنسية بأنه لم يكن مخلصًا لقضية بلاده، وزعموا، كدليل على ذلك، أن لديه أصدقاء كثرًا في إنكلترا، امثال الدكتور بيركن هوت، ولإثبات أن السيد لي لم يكن محل ثقة لدى الحكومة الفرنسية ومشتبهًا به من قبله، نُشرت اكاذيب في بعض المطبوعات العامة في الولايات المتحدة، وأُرسلت إلى فرنسا وبينما بُذلت جهودٌ لإثارة الشك في إخلاص السيد لي لدى فيرجينيس ونيكار ومونتباري وآخرين، فقد ثبت في أمريكا أنه ثقة البلاط الفرنسي، وهذا ما أكده جون آدامز، الذي خلف سيلاس دين في فرنسا، والذي عمل مع السيد لي لأكثر من عام، مشيدا بكفاءته ونزاهته التي خدم بها بلاده [3].

بعد أن عزم السيد لي على العودة إلى الولايات المتحدة، أبحر من فرنسا في آب1780، ووصل إلى بوسطن في أيلول، استقبله سكان ماساتشوستس بحفاوة بالغة، وحظي بأحرّ التحيات من أصدقائه في بوسطن، وسعد بوجود أبرز أعضاء حزب الأحرار حوله في جميع المناسبات. وخلال إقامته في بوسطن، ورغم قصرها وانشغالها الدائم بدعوات عامة وخاصة، كتب رسالة مطولة وصادقة إلى البارون (دي بريتوي)، أحد أكثر أعضاء الوزارة الفرنسية نفوذاً، يحثّه فيها على ضرورة مساعدة الولايات المتحدة

---

(1) Elizabeth S Kite, Op.Cit, P.92.
(2) Cresson, W. P. Francis Dana, Op.Cit, P.79.
(3) Ibid, P.88.

بإقراضها نقداً، خدمةً للمصلحة العامة؛ مُواصلاً بذلك إظهار حرصه الدائم على المصلحة العامة، وبذل الجهود من أجلها، وهي جهود لا يمكن دحضها بدافع الرغبة في نيل الاستحسان، لأنها كانت تُبذل في جلسات خاصة بعيداً عن أعين العامة، بعد أن مكث السيد لي فترة قصيرة في بوسطن، سافر إلى فيلادلفيا، وفي كل جزء من رحلته إلى هناك، حظي بتكريم من أبرز الوطنيين، وبإشادة شعبية واسعة [1].

بمجرد وصول السيد لي إلى فيلادلفيا، طلب من الكونغرس الإذن بمخاطبة المجلس، دفاعًا عن سمعته وسلوكه من التهم التي وُجهت إليه علنًا، والتي اكتسبت، في رأيه، بعض المصداقية لدى أصحاب القرار فتم استبعاده من البعثات الأخيرة إلى أوروبا، فأصدر الكونغرس قرار بعدم توجيه أي تهمة اليه، وبدلاً من أن يُدعى السيد لي من قِبَل الكونغرس لتبرئة نفسه من التهم التي وُجِّهت إليه زوراً وبهتاناً، طُلِب منه بتصويتٍ من قِبَل الكونغرس أن يُقدِّم جميع المعلومات التي بحوزته بشأن الشؤون الخارجية للولايات المتحدة، وقد أُبلغ بهذا التصويت في رسالةٍ من لرئيس الكونغرس، ويُجدر بالذكر أن السيد لي قدَّم، بياناً بجميع المبالغ المالية التي تلقاها أو أقترضها للخدمة العامة [2].

عين السيد لي في عام ١٧٨٤، عضوًا في لجنة لإبرام معاهدات مع جميع قبائل الهنود على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للولايات المتحدة، دوّن بانتظام رحلاته من فيلادلفيا إلى البحيرات وحصن ستانويكس، مرورًا بالجزء الغربي من بنسلفانيا، استكشف البلاد التي مرّ بها وتتبع مجرى أنهارها، وروابطها المحتملة؛ ووصف أنواع التربة والمنتجات والمعادن المختلفة التي أتاح له وقته وواجباته تحديدها.

بقي السيد لي في حصن ستانويكس طوال فصل الشتاء، وسط برد تلك المنطقة القارس. وفي أوائل الربيع التالي، بدأ محادثات ودية مع الهنود، وأبرم معاهدات مع معظم القبائل المعادية أو المترددة، وقد ترك العديد من خطاباته التي ألقاها بأسلوب بسيط وحيوي ومختصر، وكانت خدماته مرضية للكونغرس وللبلاد، عند عودة السيد لي إلى مقعده في الكونغرس، عُيّن في أحد أهم المناصب وأكثرها سرية وهو (مقعد في مجلس الخزانة)، أصبحت الشؤون المالية للولايات المتحدة معقدة ومربكة، وبموجب مرسوم صدر في 28 ايار 1784، كلف الكونغرس وزارة المالية. وقد أُطلق على هذه اللجنة، المكونة من ثلاثة أشخاص وهم "صمويل أوسجود ووالتر ليفينغستون وآرثر لي"، اسم **"مجلس الخزانة"** [3].

خدم السيد لي بصفته مفوضًا في مجلس الخزانة، منذ عام 1784، بالاجتهاد والكفاءة التي ميزته في كل وظيفة عامة سابقة، وأثناء استمرار السيد لي في مجلس الخزانة، عُيّن في تشرين الاول 1786، بتصويت مشترك من مجلس الشيوخ ومجلس النواب في ولاية فرجينيا، عضوًا في لجنة لمراجعة قوانين تلك الولاية، وفي10 تشرين الثاني 1789، حُلّ مجلس الخزانة، ثم انزوى السيد لي في حياته الخاصة، لكن وضع شؤون البلاد لم يسمح له بالانزواء لحياته الخاصة، اذ شغلت خطة الدستور الفيدرالي في ذلك الوقت اهتمام السياسيين، وأثارت آمال ومخاوف شعب الولايات المتحدة، وقد أدى السيد لي دور المواطن الحكيم، وبحث بعمق في نظرية ومبادئ وأحكام هذه الوثيقة، لقد نظر إليها وعلى غرار الوطنيين الأكفاء أساسًا لحكومة موحدة، لذا عارض اعتمادها، وعلى الرغم من أن خاتمة تأملاته كانت معادية للدستور في شكله الأصلي، فمن المعروف أن كراهيته للدستور الفيدرالي قد خفت إلى حد كبير بعد اجراء التعديلات التي عاش ليرى اعتمادها [4].

بعد عودته إلى أمريكا، مُنح العديد من الأوسمة الأدبية، كما مُنح درجة دكتوراه في القانون من جامعة كامبريدج؛ وتم تعيينه عضوًا في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، كما انتُخب عضوًا فخريًا في الجمعية الفلسفية الأمريكية، بعد وقت قصير من استلام السيد لي رسالة السيد بودوين، أبلغ القس الدكتور جوزيف ويلارد، رئيس جامعة كامبريدج والأمين العام لأكاديمية الفنون والعلوم، بتوجيه من هذه المؤسسات، السيد لي بأن الجامعة والأكاديمية قد منحته الدرجات المذكورة آنفًا تكريما لجهوده المبذولة [5].

---

(1) Cresson, W. P. Francis Dana, Op.Cit, P.88.
(2) Ronald Hoffman, And Peter J. Albert, op.cit, p.93.
(3) Stacy Schiff, A Great Improvisation, Op.Cit, P.70.
(4) Ibid, P.72.
(5) Francis Ed Wharton, Op.Cit. P.81.

عاد السيد لي إلى حياته الخاصة بعد انتهاء عمله في القسم المالي للاتحاد، ولإشباع شغفه بالأنشطة والملذات الريفية، اشترى مزرعة في مقاطعة ميدلسكس، وأقام بالقرب من قرية تُدعى أوربانا، على ضفاف نهر راباهانوك، بولاية فرجينيا، قدم هناك مثالاً يُحتذى به في الجد والاجتهاد والزراعة الناجحة، وقد صمم العديد من الخطط لتزيين الأراضي المحيطة بقصره، ولكن لم يُسمح له بالبقاء طويلاً في مشاهدها الهادئة، ففي ربيع عام 1881، انتخبه أصحاب الأراضي الأحرار في مقاطعة برينس ويليام، في ولايته الأصلية، مندوبًا في جمعية ولاية فرجينيا، خدم في هذه الهيئة من شباط 1882 إلى عام 1885، أُصيب في عام 1792 بالتهابٍ حادٍّ نتيجة تعرضه لموجة برد، أدت إلى وفاته في الثاني عشر من كانون الأول عام ١٧٩٢، عن عمرٍ يناهز الثانية والخمسين. أحدثت وفاة السيد لي ضجةً كبيرةً في جميع أنحاء الولايات المتحدة، لم يتزوج السيد لي قط. لطالما كان هذا الوضع مصدر ندم له، ومفاجأة لأصدقائه؛ لأنه كان شخصًا ذو طبع حنون ومتحمس.[1]

الخاتمة.

يعد آرثر لي من الرجال البارزين الذين قدموا خدمات جليلة لقضية استقلال الولايات المتحدة بكل إخلاص وتفانٍ، اذ جمع بين العلم والمعرفة والدبلوماسية، واستطاع أن يضع بصمته الواضحة في واحدة من أهم المراحل التاريخية لأمته، سواءً من خلال جهوده في الحصول على الدعم العسكري والمالي من القوى الأوروبية، أو من خلال مشاركته الفاعلة في صياغة المعاهدات الدولية التي ساهمت في الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة وتعزيز مكانتها على الساحة العالمية، ورغم التحديات والمصاعب التي واجهها، سواءً من الخصوم أو من داخل دائرة صنع القرار، ظل آرثر لي متمسكاً بمبادئه، مدافعاً عن مصالح بلاده بكل ما أوتي من قوة وحكمة، اذ ترك إرثاً دبلوماسياً وسياسياً يستحق أن يُدرس ويُقدّر، ليس فقط كجزء من التاريخ الأمريكي، بل كدرس في الإصرار والوطنية والرؤية الاستراتيجية، تكللت جهوده خلال عامي ١٧٧٨ و١٧٧٩ بالنجاح في تحقيق بعض أهم أهدافها. فقد حصل في أوقات الحاجة الماسة على قروض من إسبانيا وهولندا، وإمدادات عسكرية من بروسيا، بشروط ميسرة، لذا فإن دراسة حياة آرثر لي ليست مجرد استعادة للماضي، بل هي إضاءة على قيم الالتزام والكفاح من أجل الحرية والعدالة، وهي قيم تظل حيةً ومُلهمة للأجيال القادمة.

المصادر.

1. Arthur Lee, The Life Of Arthur Lee, LL.D. Boston: Wells And Lilly, 1829.
2. The Revolutionary Diplomatic Correspondence Of The United States. 6 Vols. Washington: Government Printing Office, 1889..
3. The Revolutionary Diplomatic Correspondence Of The United States op.cit .
4. Louis W. Potts, Arthur Lee: A Virtuous Revolutionary. Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1981.
5. Stacy. Schiff, A Great Improvisation: Franklin, France, And The Birth Of America. New York: Henry Holt, 2005.
6. William C. Stinchcombe, The American Revolution And The French Alliance. Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1969..
7. Jonathan R. Dull, A Diplomatic History Of The American Revolution. New Haven: Yale University Press, 1985.

[1] Max Savelle, Op.Cit, P.211.

8. Richard B. Morris, The Peacemakers: The Great Powers And American Independence. New York: Harper & Row, 1965..
9. James Breck Perkins, France In The American Revolution. Boston: Houghton Mifflin, 1911.
10. Ronald W. Clark Benjamin Franklin: A Biography. New York: Random House, 1983,
11. Walter Isaacson, Benjamin Franklin: An American Life. New York: Simon & Schuster, 2003.
12. John J. Meng, Despatches And Instructions Of Conrad Alexandre Gérard, 1778-1780. Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1939.
13. Samuel Flagg Bemis, The Diplomacy Of The American Revolution. Bloomington: Indiana University Press, 1957.
14. Felix Gilbert, To The Farewell Address: Ideas Of Early American Foreign Policy. Princeton: Princeton University Press, 1961.
15. James H. Hutson, John Adams And The Diplomacy Of The American Revolution. Lexington: University Press Of Kentucky, 1980.
16. Piers Mackesy, The War For America, 1775-1783. Lincoln: University Of Nebraska Press, 1993.
17. Schulte Nordholt, Jan Willem. The Dutch Republic And American Independence. Chapel Hill: University Of North Carolina Press, 1982.
18. Max Savelle, The Origins Of American Diplomacy: The International History Of Anglo-America, 1492-1763. New York: Macmillan, 1967.
19. Gerald Stourzh, Benjamin Franklin And American Foreign Policy. Chicago: University Of Chicago Press, 1954..
20. Francis Ed Wharton, The Revolutionary Diplomatic Correspondence Of The United States. 6 Vols. Washington: 1889.
21. Stacy Schiff, A Great Improvisation: Franklin, France, And The Birth Of America. New York: Henry Holt, 2005.
22. Ronald Hoffman, And Peter J. Albert, Eds. Diplomacy And Revolution: The Franco-American Alliance Of 1778. Charlottesville: University Press Of Virginia, 1981.
23. Cresson, W. P. Francis Dana: A Puritan Diplomat At The Court Of Catherine The Great. New York: L. Macveagh, 1930.
24. Elizabeth S. Kite, Beaumarchais And The War Of American Independence. 2 Vols. Boston: Gorham Press, 1918.
25. Lawrence S. Kaplan, Colonies Into Nation: American Diplomacy, 1763-1801. New York: Macmillan, 1972.